حرب التحرير القومية النظامية الرابعة

وائل عزام

قد يكون من التعجل البحث في موقع حرب تشرين أول « اكتوبر » سنة ١٩٧٣ من الحركة التاريخية للثورة العربية ، فما زلنا نعيش أحداثها . ومن الصعب أن يتبين المرء موقعه خلال وقوع الحدث نفسه .

ولكن تسارع الاحداث والاثار المباشرة السياسية لهذه الحرب وما تثيره من غبار كثيف يحجب الرؤية التاريخية ، ويكاد يفقدنا وضوح الطريق يبرر الاسراع بهذا البحث، وان لم يجنبه العثرات هنا او هناك .

وقد يتبين فيما بعد أن خطوات هذا البحث ليست على « أقصر الطرق » الى فلسطين ولكنها على أي حال تتجه اليها ، ففلسطين .. كاملة .. هي ساحة الصدام العربي الاستعماري الرئيسية .

ملاحظة هامشية :

نستعمل كلمة « **القومية** » بدلا من « الوطنية » لما يعلق بالاخيرة من محدودية قطرية اقليمية وأيضا لان الحرب التي سيتناولها الحديث لم تكن بالفعل حرب قطر واحد ، وهي وان كانت محدودة الزمان والفعل العسكري فانها لا محدودة الاثر والتفاعل القومي سواء في اللحظة الراهنة أو في انعكاساتها على كل الاصعدة في المستقبل ، ولقد عرفت الامة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حروبا تحريرية متعددة ، على مواضع مختلفة من أرضها ، الا أن أربعا منها فقط هي التي يمكن ان تطلق عليها صفة « القومية » ان فعلا (مساهمة اكثر من جيش من أكثر من قطر) او موقعا تاريخيا (مواجهة أعلى درجات الغزو الاستعماري وأكثرها حدة وتعبيرا عن كل أشكال الاستعمار القديم والجديد وما قد يجد وهو الغزو الصهيوني الاستيطاني على أرض فلسطين والذي يسعى لضمان قبضة القوى الاستعمارية المختلفة على الامة العربية كلها والذي اتسع فعلا ليشمل أجزاء من أكثر من قطر عربي محطما تقسيمات استعمارية سياسية قديمة لهذه الامة ، مرجعا قبضة الاستعمار وبدرجة أعلى على مقدراتها) .

ونحدد أنها الحرب الرابعة « النظامية » ، فالثلاث الاولى كانت كذلك أيضا ، كما أنها وان حملت اكثر من الثلاث السابقات بصمات المشاركة الجماهيرية الا أنها ظلت نظامية تخطيطا واستخداما ومسارا ومساهمة . وعندما نصر على استخدام الكلمة فانما لكي نؤكد على الكلمة الاخرى وهي « حرب الشعب » فتلك متصلة وان تفاوتت درجة حدتها ، ومنتصرة بغض النظر عن النتائج « العسكرية » المباشرة ، ومستمرة طالما استمرت قوى الاغتصاب الاستعمارية تنتهك كرامة الامة وأرضها . وعندما نستخدم كلمة « النظامية » فاننا لا نقلل بحال من دور هذه الحرب واثرها وانما لنحدد موقع هذه « الحروب » من الحركة التاريخية لحرب التحرير العربية ، أي للثورة العربية والتي تسير منذ مطلع القرن الحالي ، أي منذ بدء الغزو الصهيوني للامة العربية ، تسير على ساقين أحداهما نظامية والاخرى جماهيرية ، تتفاوت ادوارهما